المشكاة
مجلّة علميّة محكّمة
العدد التّاسع والعاشر – 2011 - 2012

جهود الحافظ أبي الحجاج المزي في خدمة السنة النبوية

د.عمار الحريري[1]

لم تعتنِ أمة من الأمم في خلال تاريخ الإنسانية بقول نبي أو عظيم من عظمائها كما اعتنى علماء المسلمين بقول نبيهم محمد ﷺ، وقد أقر المستشرقون بمدى صدقية تاريخ المسلمين، وحُقّ للمسلمين أن يفتخروا بهذا العلم، وسبب ذلك كما يذكر < مارجليوث > أنه عندما يقارن تاريخ المسلمين بتاريخهم القديم، يجد نفسه مضطرا لقبول تاريخهم بناء على ذمة المؤلف، دون أن يكون بين يديه مصادر ومواد يحاكم بها ذلك التاريخ لأن السند مقطوع.

وعندما نقرأ وندرس بعض أعلام المسلمين نشعر بالفخر والعظمة، لما بذله هؤلاء في خدمة السنة النبوية وخصوصا عندما يتعلق الأمر بمصادر الحديث ورجاله، فقد اتجه علماء المسلمين باتجاهات موازية، فمنهم من اجتهد بجمع ما أسند وصح من الحديث، ومنهم من جمع الأحاديث الموضوعة، ومنهم من جمع الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ورأى آخرون جمع كل أحاديث صحابي أو شيخ في باب واحد، وقد اجتهدوا بطريقة التصنيف والترتيب، ثم اختص آخرون بدراسة الرجال الذين حملوا الحديث، ليبقى هذا العلم حاضرا

---

1) أستاذ بكلية الشريعة / جامعة دمشق.

ظاهرا واضحا في كل عصر، وكأن لسان المقام يقول : هذه أحاديثنا وهذه أحوال رجالنا، فلا قطيعة بيننا ولا غموض، وهذا ما فعله البخاري من خلال صحيحه المسند وتواريخه الثلاثة في تراجم الرجال.

هنا موضع التفاخر والمصداقية التي يتحدث عنها المستشرقون، وهنا تبرز شخصية الحافظ المزي، حيث ساهم في بناء هذا العلم من خلال الإضافة والإبداع الذي اشتهر به في عصره، وقد عُرف عنه غزارة العلم وكثرة الحفظ وقوة الضبط والإتقان، فساهم في منصبه كإمام لدار الأشرفية في دمشق، ليخرّج تلاميذ نبلاء أعلاما كابن تيمية والذهبي وابن كثير ....، ثم يتوج علمه بكتابين من أعظم وأجل كتب الحديث، حتى قيل لا نظير في الدنيا لهذين التأليفين، وأصبح مدار علم رجال الكتب الستة على كتابه تهذيب الكمال، أما كتابه " تحفة الأشراف" فقد جمع دواوين الإسلام المشتهرة وهي الأمهات الست بأسانيدها مع ملحقاتها.

وضمن ورقات هذا البحث المختصر سنتعرف على شخصية الحافظ أبي الحجاج المزي، من خلال التعريف بشخصيته الإنسانية والعلمية، وهو مضمون المبحث الأول، أما في المبحث الثاني فسنتعرف على فكره وجهوده وآثاره العلمية .

ويتألف البحث من مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالحافظ المزي وعصره

المبحث الثاني : كنوز المزي ونكته في علم الحديث

المبحث الأول : التعريف بالحافظ المزي وعصره

- **اسمه ونسبه** : هو الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن زكي الدين عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن أبي الزهر الحلبي القضاعي الكلبي المزي الدمشقي الشافعي، الشهير بابن الزكي.

- **مولده ونشأته** : ولد أبو الحجاج المزي بالمعقلية بظاهر حلب سنة أربع وخمسين وست مائة (654هـ)، ونشأ بالمزة وهي معروفة حاليا كحي من

أحياء دمشق، وكانت تعرف سابقا بأنها قرية من ضواحي دمشق، ويفهم من كلام الذهبي أنه حفظ القرآن وتفقه قليلا قبل بلوغه العشرين، ولما بلغ سن الحادية والعشرين من عمره – أو سنة خمس وسبعين وستمائة – أقبل على طلب العلم، فقرأ بداية كتاب الحلية كاملا لأبي نعيم على شيخه ابن أبي الخير ثم أكثر عنه[1] .

• **شيوخه وتلاميذه** : إن تأخر المزي في طلب العلم ربما زاده حرصا على استدراك ما فاته سماعه من بعض علماء عصره وقد كان بإمكانه سماعهم وتحصيل الإجازة منهم [2]، لذلك عكف المزي بشغف على طلب العلم وقراءة الكتب على علماء عصره، ولم يكتف بذلك بل شد الرحال في طلب العلم فسمع من علماء حلب وحماة [3] ورحل إلى الحرمين ومصر والإسكندرية وغيرها، حتى قال ابن حجر : " ومشيخته نحو ألف شيخ "[4]. فمن أهم شيوخه الإمام النووي، وابن دقيق العيد، والدمياطي، والعماد ابن الشيرازي، وأحمد بن أبي الخير، والعز الحراني، وأبي بكر بن الأنماطي... . [5].

وقد ترافق هو وابن تيمية كثيرا في سماع الحديث وفي النظر في العلم، وصنفه السبكي من تلاميذه[6].

وأما تلاميذه : لما اشتهر أمر المزي في زمنه واستلم مشيخة عدة مدارس وأهمها دار الأشرفية في دمشق كثُرَ تلاميذه وسمع منه خلق لا يُحصون[7]، وكان من أبرز تلاميذه صهره ابن كثير والذهبي والتاج السبكي ووالده، وابن سيد الناس، والبرزلي[8]، وابن القيم، والزيلعي[9]، قال ابن حجر :

---

1) انظر : الذهبي، تذكرة الحفاظ : 1498/4.
2) قال ابن حجر : " ولو كان له من يسمعه صغيرا لسمع من ابن عبد الدائم والكرماني وغيرهما ". الدرر الكامنة : 233/5.
3) انظر : الذهبي، تذكرة الحفاظ : 1498/4.
4) الدرر الكامنة : 233/5
5) انظر : الذهبي، تذكرة الحفاظ : 1498/4، وابن حجر، الدرر الكامنة : 233/5.
6) انظر : السبكي، طبقات الشافعية : 444/5.
7) انظر : الذهبي، تذكرة الحفاظ : 1499/4، والسبكي، طبقات الشافعية : 444/5.
8) انظر : السبكي، طبقات الشافعية : 440/5 –442، وابن حجر، الدرر الكامنة : 234/5.
9) قال الزيلعي : وهذا الحديث مما استدركه شيخنا أبو الحجاج المزي ..." نصب الراية : 180/1.

"وحدث بكثير من مسموعاته الكبار والصغار عاليا ونازلا، وغالب المحدثين من دمشق وغيرها قد تلمذوا له واستفادوا منه"[1].

*** أخلاقه وسماته وتواضعه :**

قال تلميذه الذهبي : " وكان ثقة حجة كثير العلم حسن الأخلاق كثير السكوت قليل الكلام جدا، صادق اللهجة لم تعرف له صبوة، وكان يطالع وينقل الطباق إذا حدث وهو في ذلك لا يكاد يخفى عليه شيء مما يقرأ، بل يرد في المتن والإسناد ردا مفيدا يتعجب منه فضلاء الجماعة، وكان متواضعا حليما صبورا مقتصدا في ملبسه ومأكله كثير المشي في مصالحه ".

وقال أيضا : "وكان ذا مروءة وسماحة ويقنع باليسير باذلا لكتبه وفوائده ونفسه كثير المحاسن ولقد آذاه أبو الحسن بن العطار وسبه، وما رأيته يتكلم فيه ولا فيمن آذاه " [2].

وقال ابن حجر : " وكان كثير الحياء والاحتمال والقناعة والتواضع والتودد إلى الناس مع الانجماع عنهم[3]، قليل الكلام جدا حتى يُسأل فيجيب ويجيد، ولا يتكثر بفضائله ولا يغتاب أحدا ".

ونقل ابن حجر عن ابن سيد الناس أنه كان : " معرضا عن الدنيا وأسبابها مقبلا على طريقته التي أربى بها على أربابها لا يبالي ما ناله من الأزل ولا يخالط جده بشيء من الهزل "[4].

ونقل ابن حجر وصف الذهبي له : بأنه ذو حياء وحلم وسكينة واحتمال وقناعة وترك للتجمل وانجماع عن الناس وصبر على من يؤذيه وقلة كلام إلا أن يسأل فيفيد ... وكان طويل الروح ريض الخلق جدا لا يرد بعنف ولا يتكثر بفضائله ولا يكاد يغتاب أحدا . .. وكان خيرا ذا ديانة وتصون من الصغر

---

1) ابن حجر، الدرر الكامنة : 234/5 .
2) الذهبي، تذكرة الحفاظ : 1499/4 .
3) أي الانقباض عن الناس والعزلة عنهم . انظر : تاج العروس : 4708/1.
4) الدرر الكامنة : 233/5-235 .

وسلامة باطن وعدم دهاء ... وكان مأمون الصحبة حسن المذاكرة خير الطوية ... [1].

ومن تواضعه : كما ذكر الذهبي أنه كان لا يتكثر بفضائله، وقال أيضا : " وما علمته خرج لنفسه عوالي ولا موافقات ولا معجما وكنت ألومه على ذلك فيسكت قال ولو كان لي رأي للازمته أضعاف ما جالسته فإنني أخذت عنه هذا الشأن بحسبي لا بحسبه وكان لا يكاد يعرف قدره إلا من أكثر مجالسته " [2].

*** وفاته :**

توفي المزي رحمه الله تعالى وهو في العشر التسعين من عمره، بدار الحديث الأشرفية في دمشق، وهو متمتع بحواسه وذهنه، أصابه طاعون، ودفن بمقابر الصوفية بالقرب من رفيقه ابن تيمية .

وكانت وفاته يوم السبت 12 صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة [3].

عصر المزي وتميزه

*** عصر المزي :**

رغم أن عائلة المزي على ما يبدو لم تهتم بتعليمه وتوجيهه لطلب العلم وإدخاله إحدى المدارس الكثيرة في ذلك العصر، فإن المزي بنباهته وذكائه لم يحرم نفسه من أهل زمانه وخصوصا أنه سافر إلى دمشق حيث كانت نشأته فيها، وكانت دمشق حينها ميدان العلماء ومقصد كل طالب للعلم، وكانت المدارس عامرة بتعليم الحديث وحفظ القرآن، ومن أهمها دار الحديث الأشرفية التي وليها المزي، قال ابن تيمية : " لما باشرها لم يلها من حين بنيت إلى الآن أحق بشرط الواقف منه لقول الواقف فإن اجتمع من فيه الرواية ومن فيه الدراية قدم من فيه الرواية "[4].

---

1) انظر : ابن حجر، الدرر الكامنة : 236/5.

2) نقلا عن ابن حجر في الدرر الكامنة : 236/5.

3) انظر : السبكي، طبقات الشافعية : 444/5، وابن حجر، م س : 236/5، وقيل أن وفاته كانت في حلب سنة : 744هـ. انظر : البغدادي، هدية العارفين : 740/1.

4) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية : 75/3.

إن ابن تيمية الذي أنصف رفيقه في مكانته العلمية والذي أنتج حركة فكرية سلفية ناقدة لمجتمع صوفي قد أثّر على المزي، حتى ذكر تاج الدين السبكي : " واعلم أن هذه الرفقة أعني المزي والذهبي والبرزالي، وكثيرا من أتباعهم أضر بهم أبو العباس ابن تيمية إضرارا بينا، وحمّلهم من عظائم الأمور أمرا ليس هينا، وجرهم إلى ما كان التباعد عنه أولى بهم، وأوقفهم في دكادك من نار "[1].

وربما لذلك لم يُصدق أقران المزي أنه أشعري رغم إقراره بذلك عندما ولي دار الأشرفية، لما يعرفون من ميوله لأفكار صديقه ابن تيمية، وتجلى ذلك واضحا عندما درس المزي كتاب البخاري < خلق أفعال العباد > مناصرة لابن تيمية وتحديا لمناظريه من الشافعية فسجن على أثر ذلك وأخرجه ابن تيمية ... [2].

إن خلاصة عصر المزي تتمثل بطبقة سبقته من أهم أعلامها : النووي والدمياطي وابن الظاهري وابن دقيق العيد وابن فرج وغيرهم، ثم جاءت طبقة المزي وهي تزخر بأعلامها كابن تيمية والذهبي وصفي الدين القرافي وابن البرزالي والقطب الحلبي وابن سيد الناس [3].

*** دور المزي في عصره :**

بدأ المزي حياته العلمية بحفظ كتاب الله تعالى وهو في صباه ثم بقراءة كتاب الحلية لأبي نعيم على شيخه ابن أبي الخير، ثم سمع الموطأ و المسند والكتب الستة ومعجم الطبراني وتاريخ بغداد والسنن الكبرى... وغيرها، قال أبو الطيب الفاسي : " سمع من شيوخه أمهات الكتب "[4].

---

1) السبكي، طبقات الشافعية : 444/5.
2) انظر : ابن حجر، الدرر الكامنة : 236/5، وابن كثير، البداية والنهاية : 37/14.
3) انظر : السخاوي، فتح المغيث : 355/3.
4) أبو الطيب الفاسي، ذيل التقييد : 2 / 324.

علمه باللغة العربية : وعرف عنه تضلعه باللغة وبالتصريف قال الذهبي " ونظر في اللغة ومهر فيها وفي التصريف وقرأ العربية "[1]. وقال الصفدي : " ولم أرَ بعد أبي حيان مثله في العربية خصوصا التصريف "[2].

وقال ابن سيد الناس : " وهو في اللغة أيضا إمام وله بالقريض[3] معرفة وإلمام " [4].

إضافة إلى ذلك كان عنده علم **بالفقه والأصول وعلم الكلام**، وإن كان تلميذه التاج السبكي اعترض على الذهبي في قوله عن المزي : ويخوض في مضايق المعقول "، فعقب السبكي وقال : " ولا أحسب شيخنا المزي يدري المعقولات، فضلا عن الخوض في مضايقها، فسامح الله شيخنا الذهبي " [5].

قال الذهبي : " وكان يقرر طريقة السلف في السنة ويعضد ذلك بمباحث نظرية وقواعد كلامية وجري ومعارضات في ذلك تركها أسلم وأولى "[6].

ولكن قد يُتعقب السبكي ؛ بأن الذهبي كان ملازما للمزي، وقرينه، وبينهما صحبة، فما يعرفه بحق الصحبة خلاف ما يعرفه الطالب من شيخه بحق التلمذة، وخصوصا أن السبكي أدرك شيخه المزي كإمام لدار الحديث، فيحتمل أن يكون المزي قد ابتعد عن علم الكلام عندما ولي دار الأشرفية، وهذا لا يعني أنه ليس لديه علم به، وقد عرف عنه أنه تأثر برفيقه ابن تيمية وكان سلفي العقيدة، رغم أنه نشأ تحت أكناف الصوفية وقد صحب العفيف التلمساني فترة، فلما عرف ضلاله هجره [7]، إضافة إلى ذلك فإن السبكي وصف حاله مع

---

1) الذهبي، تذكرة الحفاظ : 1498/4.
2) ابن حجر، م س : 235/5.
3) القَرِيضُ الشِّعْر وهو الاسم كالقَصِيدِ والتَقْرِيضُ صِناعتُه. ابن منظور، لسان العرب : 129/7.
4) ابن حجر، م س : 235/5.
5) السبكي، طبقات الشافعية : 441/5.
6) الذهبي، م س : 1499/4.
7) انظر : ابن حجر، الدرر الكامنة : 234/5.

شيخه المزي بما يوحي بجدية العلاقة بينهما لمهابة الأخير، ويصفه بأنه رجل عبوس، بينما كان أكثر ملازمة لشيخه الذهبي لكثرة ملاطفته ومحبته له [1].

وقد يوفق بين وجهتي النظر، بأن السبكي وقف عند حرفية المصطلح < مضايق المعقولات >، بينما ذكر الذهبي ذلك بقصد مدح شيخه والدلالة على سعة علمه، ولذلك قال السبكي : " ولعل الذهبي خطر له أن ذلك القدر الذي كان يخوض فيه من أصول الديانات هو مضايق المعقولات، وهذا ظن من لا يدري مدلول المعقولات، وأنها علوم وراء علوم الكلام، يعرفها أهلها " [2].

قوة علمه : إن سعة علمه وقوة ذاكرته جعلته طبيبا معالجا لمعضلات الأمور، قال الذهبي : " وأوضح مشكلات ومعضلات ما سبق إليها في علم الحديث ورجاله " [3]، يقول ابن حجر : " وسألوه عن معضلات الأمور فاعترفوا بفضيلته وعلو ذكره " [4]، وقال تلميذه التاج السبكي : " واحد عصره بالإجماع وشيخ زمانه الذي تصغى لما يقول الأسماع " [5].

وقال تلميذه ابن سيد الناس : " فكنت أحرص على فوائده لأحرز منها ما أحرز وأستفيد من حديثه الذي إن طال لم يمل وإن أوجز وددت أنه لم يوجز" [6].

ولذلك قال تلميذه التاج السبكي : " كان شيخنا المزي أعجوبة زمانه يقرأ القارئ عليه نهارا كاملا، والطرق تضطرب والأسانيد تختلف، وضبط الأسماء يشكل، وهو لا يسهو ولا يغفل يبين وجه الاختلاف، ويوضح ضبط المشكل، ويعين المبهم، يقظ لا يغفل عند الاحتياج إليه " [7].

1) انظر : السبكي، طبقات الشافعية : 5/442-443.
2) السبكي، م ن : 5/443.
3) تذكرة الحفاظ : 4/1499.
4) الدرر الكامنة : 5/234.
5) طبقات الشافعية : 5/440.
6) الدرر الكامنة : 5/234.
7) طبقات الشافعية : 5/442.

علمه بالرواية والدراية : إن تميز المزي وتفرده بدا واضحا وجليا في علم الحديث رواية ودراية، وقد ذكرنا قبل قليل شهادة ابن تيمية بأنه لم يلها من حين بنيت دار الأشرفية إلى عصره أحق بشرط الواقف من المزي، لأن شرطه يقدم من فيه الرواية على من فيه الدراية [1]، وقال تلميذه ابن سيد الناس : " أحفظ الناس للتراجم، وأعلمهم بالرواة من أعارب وأعاجم، لا تخص معرفته مصرا دون مصر، ولا ينفرد أهل عصره معتمدا آثار السلف الصالح، مجتهدا فيما نيط به في حفظ السنة من المصالح "[2].

قال الذهبي : " وأما معرفة الرجال فهو حامل لوائها والقائم بأعبائها لم ترَ العيون مثله " [3].

وقال أبو الطيب الفاسي : " وكان واسع المعرفة بأسماء الرواة المتقدمين بحيث لم يكن له في آخر عمره نظير في ذلك مع معرفة بالمتأخرين "[4].

وقال التاج السبكي : " وجمع له الدراية والرواية وعلو الإسناد، وحدث نحو خمسين سنة" [5].

وقال الصفدي : " واستفدت منه فوائد وقواعد في علم الحديث لم أجدها في كتاب ولم آخذها عن مجاب"[6].

إن تواضع المزي مع سعة علمه يظهر جليا فيما رواه الصفدي حيث يجلس مجالس السامعين كطالب العلم ثم يكتشف القارئ أنه محرج من كثرة تصحيحات المزي له، ويعترف للمزي بأنه هو الأصل. فقد روى الصفدي قال : سمعنا صحيح مسلم على البندنيجي وهو حاضر، فكان يرد على القارئ فيقول القارئ وهو ابن طغريل : ما عندي إلا ما قرأت فيوافق المزي بعض من

---

1) انظر : ص 7.
2) ابن حجر، الدرر الكامنة : 235/5.
3) الذهبي، تذكرة الحفاظ : 1498/4.
4) الفاسي، ذيل التقييد : 324/2.
5) السبكي، طبقات الشافعية : 444/5.
6) ابن حجر، م س : 235/5.

حضر ممن بيده نسخة إما بأن يجد فيها كما قال أو يقول مطفر عليه أو مضيف أو في الحاشية، ولما كثر ذلك منه قلت له ما النسخة الصحيحة إلا أنت [1].

إن جميع هذه الأقوال كافية لإظهار مكانة المزي في عصره، واستحقاقه ولاية دار الحديث، لذلك عظم على تقي الدين السبكي عندما ولي قضاء الشافعية في دمشق ؛ كلامُ الشيخ صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكي بعزل المزي عن تولية دار الأشرفية فقال القاضي السبكي : " فاقشعر جلدي وغاب فكري، وقلت في نفسي : هذا إمام المحدثين، والله لو عاش الدار قطني لاستحيا أن يُدّرس مكانه " [2].

إلا أن ابن القاضي تاج الدين السبكي حاول تفسير سبب طلب صدر الدين لأبيه فقال : "إن صدر الدين المالكي لا ينكر رتبة المزي في الحديث، ولكن كأنه لاحظ ما هو شرط واقفها، من أن شيخها لا بد وأن يكون أشعري العقيدة، والمزي وإن كان حين ولي كتب بخطه بأنه أشعري، إلا أن الناس لا يصدقونه في ذلك" [3].

إن من أبرز ما يدلل على دور المزي في عصره ما رجحه التاج السبكي حيث قال : "ما رأيت أحفظ من ثلاثة : المزي، والذهبي، والوالد – أي تقي الدين السبكي " [4].

*** تميز المزي في عصره :**

إن تميز المزي عن قرنائه لم يكن فقط بالحفظ والعلم، ولكن اشتهر وتفرد أيضا بعدة ميزات وهي :

– كان من أبعد الناس عن التصحيف [5]، ومن أحسنهم أداء للإسناد والمتن، وكان يقول المزي : "إذا أغرب عليه أحد برواية مما يذكره بعض

---

1) انظر : ابن حجر، م ن : 235/5.
2) السبكي : م س : 442/5.
3) السبكي، طبقات الشافعية : 5/ 442.
4) السبكي، م ن : 441/5.
5) قال ابن كثير : " وكان شيخنا الكبير الجهبذ أبو الحجاج المزي من أبعد الناس عن هذا – أي التصحيف – بل لم يكن على وجه الأرض مثله فيما نعلم ". برهان الدين الأبناسي، الشذا الفياح : 470/2.

شراح الحديث وكان ذلك على خلاف المشهور عنده، هذا من التصحيف الذي لم يقف صاحبه إلا على مجرد الصحف ولم يأخذ إلا منها "[1].

– ومما تميز به أنه لا يسهو ولا يغفل، حتى ذكر أن من عجائبـــه : أن الطلبة شاهدته ينعس فإذا أخطأ القارئ رد عليه، كأن شخصا أيقظه وقال لـــه : قال هذا القارئ : كيت وكيت، هل صحيح ؟ . [2].

وقال تلميذه ابن كثير : "وكان شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي يكتب في مجلس السماع وينعس في بعض الأحيان ويرد على القارئ ردا جيدا بينا واضحا بحيث يتعجب القارئ من نفسه أنه يغلط فيما في يده وهو مستيقظ والشيخ ناعس وهو أنبه " [3].

– لقد تميز المزي أيضا مع جلالته وعلمه بأنه كان يضبط الأشياء الواضحة، وعلل ذلك السخاوي، أنه يبالغ في ضبط المتون، لأن تغييرها قد يؤدي إلى أن يقال عن النبي ﷺ ما لم يقل أو يثبت حكم شرعي بغير طريقة [4]. وقد روينا قبل قليل ما ذكره الصفدي في ضبطه وتصحيح قراءة ابن طغريل واعترافه بذلك

– وتميز أيضا بخطه الحسن والمتقن، وندر أن يوجد له غلطة أو يؤخذ عليه لحنة [5]، وكانت كتابته حلوة، لهذا فإن ما يحزن في دراسة هذا العَلَم الحافظ هو اضطراره لبيع نسخته الأصلية من كتاب تهذيب الكمال بخطه، وسبب ذلك كما يذكر الذهبي : أنه كانت فيه سذاجة قد توقعه على أمر فيأكله

---

1) الجزائري، توجيه النظر : 807/2.

2) انظر : السبكي، طبقات الشافعية : 442/5.

3) الأبناسي، م س : 290/1.

4) انظر : السخاوي، فتح المغيث : 167/2.

5) انظر : ابن حجر، الدرر الكامنة : 236/5، وابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية : 75/3، وقال ابن سيد الناس : " وكان بما يضعه بصيرا وبتحقيق ما يأتيه جديرا " ابن حجر، م ن : 235/5.

ويستأكله، حتى لا يزال في إفلاس حتى احتاج إلى بيع أصله بتهذيب الكمال بخطه [1].

المبحث الثاني : كنوز المزي ونكته في علم الحديث

أولا - كنوز المزي

اشتهر عن المزي كتابان، عظيما الفائدة، حتى قال بعضهم : " ولا نظير في الدنيا لهذين التأليفين " [2]، هما تهذيب الكمال وتحفة الأشراف، وذكر الزركلي أن له كتابين : " المنتقى من الأحاديث "، "والكنى المختصر من تهذيب الكمال " [3].

أولا - تهذيب الكمال :

إن جهد المقدسي وإبداعه في جمع رواة الكتب الستة في كتابه < الكمال > قد أثار حفيظة المزي، واستفز قوة ذاكرته وسعة علمه، مع قلة تصنيفه، ليتمم عمل المقدسي من خلال تهذيبه، الذي لا يُفهم منه الاختصار بل عكس ذلك _ كما سأوضح بعد قليل_، فكانت إضافات المزي واستدراكاته مرجحة الفرع على الأصل.

قال التاج السبكي : " وصنف تهذيب الكمال، المجمع على أنه لم يصنف مثله "[4]. وقال ابن قاضي شهبة : "ومن نظر في كتابه تهذيب الكمال علم محله من الحفظ فما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه في معناه " [5].

ويصف ابن حجر التهذيب بأنه من أجل المصنفات في معرفة حملة الآثار وضعا وأعظم المؤلفات في بصائر ذوي الألباب وقعا، وقد وفق المزي بين اسم الكتاب ومسماه وألف بين لفظه ومعناه بيد أنه أطال وأطاب ووجد

---

1) انظر : ابن حجر، الدرر الكامنة : 236/5.

2) الفاسي، ذيل التقييد : 324/2.

3) انظر : الزركلي، الأعلام : 236/8-237.

4) السبكي، طبقات الشافعية : 444/5.

5) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية : 75/3.

مكان القول ذا سعة فقال وأصاب، ولكن قصرت الهمم عن تحصيله لطوله فاقتصر بعض الناس على الكشف عن الكاشف الذي اختصره منه [1].

إن ما يميز تهذيب الكمال عن غيره من المصنفات ويبرز أهميته وإضافته لمكتبة الحديث، أنه اشتهر في حياة المزي وحدث به خمس مرات سماعا على تلاميذه [2].

إضافة إلى ذلك فإن شخصية المزي قد انعكست على كتابه فقد عرف عنه أن كتابته حلوة، وأنه مع حسن خطه ذو إتقان، قلّ أن يوجد له غلطة أو يؤخذ عليه لحنة [3].

إن تهذيب الكمال قد فاق الأصل وهو الكمال من حيث شهرته وحجمه، وقد فاق الأصل بثلاثة أضعاف حجمه، وسبب ذلك ما جاء به من إضافات وتتمثل[4] :

- استدراك المزي على المقدسي فيما وقع به من نقص لتراجم رواة الكتب الستة.
- زيادة المزي رواة كتب أخرى على الكتب الستة.
- ذكر سنة وفاة الرجل وذكر الخلاف وأقوال العلماء فيها تفصيلا.
- حاول استيعاب شيوخ وتلاميذ الراوي قدر المستطاع.
- نبه على ترتيبات بعض الأسماء المبهمة أو المكناة وما أشبه ذلك.
- توسع المزي في ترجمة الراوي، وإضافة مادة تاريخية هامة تتعلق بأقوال العلماء في توثيقهم وجرحهم.

---

1) انظر : ابن حجر، مقدمة تهذيب التهذيب : 3/1.

2) انظر : ابن حجر، الدرر الكامنة : 234/5.

3) انظر : ابن حجر، م ن : 236/5، وابن قاضي شهبة، م س : 75/3، وقال ابن سيد الناس : " وكان بما يضعه بصيرا وبتحقيق ما يأتيه جديرا "، ابن حجر، م نب : 235/5.

4) انظر : الطحان، أصول التخريج : 159-161، وبشار معروف في مقدمته على تهذيب الكمال : 42/1-44.

- أضاف المزي في نهاية كتابه أربعة فصول مهمة تتعلق بنسب الرجال فيمن اشتهر بالنسبة إلى أبيه أو جده أو فيمن اشتهر بالنسبة إلى قبيلة أو بلدة ... أو فيمن اشتهر بلقب أو نحوه ... وفصل في المبهمـــات، وهي نافعة تسهل الكشف على التراجم الأصلية.

ومع ذلك فكان لابن حجر في **تهذيب التهذيب** وجهة نظر أخرى ليستدرك على المزي بعض الأمور، وخصوصا في الإطالة والاسترسال، والاستدراك عليه بزيادة بعض الشيوخ، أو ذكر بعض أقوال العلماء في الجرح والتعديل مما سكت عنه المزي، فمما ذكره ابن حجر في مقدمته [1] :

- أن في التهذيب عددا من الأسماء لم يعرف الشيخ بشيء من أحوالهم بل لا يزيد على قوله روى عن فلان روى عنه فلان أخرج له فلان وهذا لا يروي الغلة ولا يشفي العلة فاستخرت الله تعالى في اختصار التهذيب على طريقة أرجو الله أن تكون مستقيمة وهو أنني أقتصر على ما يفيد الجرح والتعديل خاصة وأحذف منه ما أطال به الكتاب.

- أنه حذف منه ما أطال به الكتاب من الأحاديث التي يخرجها من مروياته العالية من الموافقات والأبدال وغير ذلك من أنواع العلو، فإن ذلك بالمعاجم والمشيخات أشبه منه بموضوع الكتاب.

- قصد المزي استيعاب شيوخ صاحب الترجمة واستيعاب الرواة عنه ورتب ذلك على حروف المعجم في كل ترجمة وحصل من ذلك على الأكثر لكنه شيء لا سبيل إلى استيعابه وحصره، وسببه انتشار الروايات وكثرتها وتشعبها وسعتها، فوجد المتعنت بذلك سبيلا إلى الاستدراك على الشيخ بما لا فائدة فيه جليلة.

- أنه حذف كثيرا من الخلاف في وفاة الرجل إلا لمصلحة تقتضي عدم الاختصار.

1) انظر : ابن حجر، مقدمة تهذيب التهذيب : 1/3-6 .

- أنه لا يحذف من رجال التهذيب أحدا بل ربما زاد عليهم من هو على شرطه - أي شرط المزي - .

ثانيا - تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف :

إن كتاب تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف : كتاب معدوم النظير مفعم الغدير، يشهد لمؤلفه على إطلاع كثير وحفظ بتير - أي كثير - وقد قصد المزي بوضعه تحصيل الكتب المعتبرة التي هي دواوين الإسلام المشتهرة وهي الأمهات الست بأسانيدها في مختصر [1]، وليس قصده ذكر تمام متون الأحاديث وسردها وإنما يذكر الراوي أولا، وطرفا من الحديث إلى أن يتميز عن غيره من الأحاديث ثم يقول رواه فلان بسند كذا وفلان بسند كذا إلى أن يفرغ من ذكر من رواه من أهل الكتب، فإذا نظره المحدث عرف من أول نظرة بدا علوه، - قال الصنعاني- : "وقد سبقه إلى ذلك الحافظ أبو مسعود الدمشقي وأطرافه أيضا كتاب نفيس مفيد وله فضل التقدم وكتاب الشيخ جمال الدين المزي أجمع وأنفع وأجل قدرا وأرفع وسئلت عنهما أي عن الأطراف لأبي مسعود وأطراف المزي في وقت، فقلت بينهما بون" [2].

وقد ألحق المزي كتابه تحفة الأشراف بلحق سماه " لحق الأطراف "، تتبع به أشياء كثيرة من كتاب النسائي من رواية ابن الأحمر [3].

ولم يفلت كتاب تحفة الأشراف من ابن حجر في نكته واستدراكاته، لأهمية هذا التصنيف الذي جمع أحاديث الكتب الستة، فيقول ابن حجر : وكنت ممن مارسه ودارسه، فوقعت في أثناء العمل على أوهام يسيرة، فكنت أكتبها في طُرَر عندي تارة، وفي هوامش النسخة أخرى، وقد استفاد أيضا ابن حجر

---

1) قال محمود الطحان : إن الغاية في هذا الكتاب هي معرفة أسانيد حديث من الأحاديث التي في الكتب الستة وملحقاتها المذكورة، أما معرفة متن الحديث بتمامه فلا بد فيه من الرجوع إلى المكان الذي أشار إليه صاحب الكتب من الكتب الستة وملحقاتها . أصول التخريج ودراسة الأسانيد : 52.

2) الصنعاني، توضيح الأفكار : 233/1، وانظر لمزيد من التبسيط والتوضيح : الطحان، أصول التخريج : 50-54 .

3) انظر : ابن حجر، النكت الظراف وهي مطبوعة مع تحفة الأشراف : 5/1.

من بعض حواشي وملاحظات شيوخه ومن سبقهم، وقد سماها النكت الظراف على الأطراف، ورتب هذه النكت على ترتيب الأصل [1].

ثانيا – نكت المزي في علم الحديث

إن شخصية كالإمام المزي متميزة وبصيرة، لا شك أن لها اجتهادات خاصة وإضافات جديدة في عصره إلا أن تَعقبَ هذه الآراء من خلال مؤلفات الإمام، أو مصنفات تلاميذه الذين بلغوا العشرات أمر فيه عسر، ويحتاج لجهد كبير، لا يستوعبه هذا البحث، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، إذ أن الغرض من هذا البحث التعريف بهذا الإمام وجهوده في خدمة السنة، فيمكن أن يكتفى بتدوين بعض الآراء والاجتهادات التي أخرجتها من بطون الكتب.

أولا – آراء المزي في المصطلح :

لم يؤلف المزي على جلالته وعلمه كتابا في المصطلح، وكما علمت أن المزي كان قليل التصنيف متواضعا، لا يعرف قدره إلا من أكثر مجالسته [2]، وكان يلومه تلميذه الذهبي على ذلك فيسكت، ويتمنى أنه لو لازمه أضعاف ما جالسه ليغرف من بحر علمه، رغم أن بعض رفاقه وتلاميذه ممن هم أقل منه حظا في هذا العلم قد ألفوا في المصطلح، كابن تيمية وابن كثير، ولو ألف المزي كتابا في المصطلح لفاق من سبقه في التأليف، ولأصبح ركنا لمن لحقه.

إذن الطريق إلى معرفة آراء المزي في المصطلح عسير ووعر، ولذلك اجتهدت في ذكر بعض آرائه التي تظهر بها شخصيته العلمية من خلال طرحها كمسائل، فمن ذلك :

*** هل تعطى الإجازة بالسماع للصبيان ومن في حكمهم ؟**

وصف ابن كثير مجلس سماع شيخه وعمه المزي، أنه كان يحضره من يفهم ومن لا يفهم والبعيد من القارئ والناعس والمتحدث والصبيان الذين لا ينضبط أمرهم بل يلعبون غالبا ولا يشتغلون بمجرد السماع ثم قال : " وكل

---

1) انظر : ابن حجر، م ن : 1/4-6.
2) انظر : ابن حجر، الدرر الكامنة : 5/236.

هؤلاء قد كان يكتب لهم السماع بحضرة شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي رحمه الله "[1]. وفسر ذلك السخاوي أن تساهل المزي مبني على أن القصد من السماع أصبح الغرض منه إبقاء سلسلة الإسناد [2].

ويؤكد ذلك ما نقله الذهبي في ترجمة شيخه : أنه كان يترخص في الأداء من غير الأصل، ويصلح من حفظه ويسامح في دمج القارئ[3]، ولغط السامعين ويعتمد في ذلك الإجازة، وكان يتمثل بقول ابن منده : يكفيك من الحديث شمه [4].

بينما تشدد بعض المحدثين واعتبروا أن كتابة الطالب مع إملاء الشيخ عليه لا يصح سماعه منه، وتوسط بعضهم وقال : إذا لم تمنع الكتابة عن فهم ما قرئ فالسماع صحيح، وهذا ما كان يفعله الدار قطني [5].

*** هل تصح الإجازة لغير المسلم ؟**

هذه المسألة من طرائف الإمام المزي وتسامحه حيث لم يوجد لها مثال إلا في تلاميذ المزي وفي حضرته وقال الأبناسي في الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح : " ولم يتعرض المصنف – أي ابن الصلاح – لمسألة الكافر لأنه لا نقل فيها مع أن سماعه صحيح كما تقدم، وقد كان يهودي طبيب بدمشق يقال له محمد بن عبد السيد بن الديان سمع الحديث في حال يهوديته على أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الصوري وكتب اسمه في طبقة السماع مع السامعين وأجاز ابن عبد المؤمن لمن سمع وهو من جملتهم وكان السماع والإجازة بحضور الحافظ أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي وبعض السماع بقراءته ... فلولا أن المزي يرى جواز ذلك ما أقرأ عليه، ثم هدى الله ابن عبد

---

1) الأبناسي، الشذا الفياح : 295/1.

2) انظر : السخاوي، فتح المغيث : 51/2.

3) قال ابن منظور : دَمَجَ الشيءُ دُموجاً إذا دخل في الشيء واستحكم فيه . لسان العرب : 274/2، وقال الفيومي في المصباح المنير 199/1 : اندمج في الشيء دخل فيه وتستر به،و أدْمَجَ الرجل كلامه أبهمه.

4) ابن حجر، الدرر الكامنة : 234/5.

5) انظر : السخاوي، م س : 48/2.

السيد المذكور للإسلام وحدث وسمع منه جماعة من المحدثين والظاهر أنه إنما سمي محمدا بعد إسلامه " [1].

*** هل يستعمل التعليق في غير صيغة الجزم كيروى عن فلان كذا أو يقال عنه ويذكر ويحكى وشبهها ؟**

ذكر ابن الصلاح أنه لا يستعمل في غير صيغة الجزم وقد جزم به العراقي، وقد خصوا به صيغة الجزم كقال وفعل وأمر ونهى وذكر وحكى، ولم يستعملوه فيما سقط وسط إسناده، ولكن ذكر العراقي أنه قد استعمله غير واحد من المتأخرين في غير المجزوم به منهم الحافظ أبو الحجاج المزي حيث أورد في الأطراف ما في البخاري من ذلك معلما عليه علامة التعليق[2]، ومثاله قول البخاري في باب مس الحرير ويروى فيه عن الزبيدي عن الزهري عن أنس عن النبي ﷺ [3]، فذكره في الأطراف وعلم عليه علامة التعليق للبخاري[4].

*** هل تعليق البخاري بصيغة الجزم عن شيوخه في صحيحه له حكم الاتصال ؟**

هذا ما جزم به ابن الصلاح وحرره العراقي أن له حكم الاتصال، لأن لها حكم السند المعنعن، فيقبل عند ثبوت اللقاء والسلامة من التدليس، ولقاء البخاري مع شيوخه متحقق ومعروف، وهو سالم من التدليس، فله حكم الاتصال، بينما كان رأي ابن دقيق العيد والمزي أن له حكم التعليق، ويدخل ضمن الأحاديث المعلقة[5].

*** هل يقع الوهم في الكتابة، وهل له مثال ؟**

ذكر الحافظ المزي في الأطراف أن الوهم تارة يكون في الحفظ وتارة يكون في القول وتارة في الكتابة [6]، قال وقد استدرك المزي على مسلم

---

1) الأبناسي، م س : 305/1، وانظر : السخاوي، م س : 94/2.
2) انظر : العراقي، فتح المغيث : 45، والأبناسي، الشذا الفياح : 171/1، والسيوطي، تدريب الراوي : 220/1.
3) انظر : صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من مس الحرير من غير لبس : 2194/5.
4) انظر : المزي، تحفة الأشراف : 305/3.
5) انظر : العراقي، م س : 46-47، والسيوطي، م س : 220/1-221.
6) انظر : السيوطي، م ن : 304/1.

حديث : " لا تسبوا أصحابي "[1] عن يحيى بن يحيى وأبي بكر وأبي كريب ثلاثتهم عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، ووهم عليهم في ذلك إنما رووه عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد كذلك.

*** ما هو أثر اعتماد البخاري على ضبطه، بينما اعتمد مسلم كتابه مع ضبطه ؟**

وقال الحافظ المزي " لو قيل إن مسلما كان يعتمد على كتابه وعلى ضبطه، وأن البخاري كان يعتمد على الضبط كان أولى، فإن قيل ما فائدة هذا الخلاف مع أن كلا منهما يلزم العمل به ؟ قلت يظهر فائدته في التراجيح عند التعارض فيقدم ما رواه البخاري على ما رواه مسلم إذا قلنا بأرجحيته " [2].

*** هل يصح السند ولا يصح المتن ؟**

وقع خلاف بين المحدثين في هذه المسألة، فرأي ابن الصلاح أن بينهما تلازما، فإذا صح السند صح المتن، والعكس صحيح، ورأي ابن الصلاح على خلاف رأي كثير من المتقدمين، بينما اتبع المزي رأي المتقدمين وترك رأي ابن الصلاح الذي سبقه في إمامة دار الحديث، فالنكتة هنا ما ذكره الجزائري فقال : " وقد أورد الحاكم في مستدركه غير حديث يحكم على إسناده بالصحة وعلى المتن بالوهاء لعلته أو شذوذه وقد فعل نحو ذلك كثير من المتقدمين وممن فعل ذلك من المتأخرين الحافظ المزي فإنه تكرر منه الحكم بصلاحية الإسناد ونكارة المتن " [3].

*** ما هو حد وفاة الشيخ حتى يكون الإسناد عاليا ؟**

قيل : إن إسناد خمسين سنة من موت الشيخ إسناد علو، وقيل : ثلاثين سنة مضت، قال ابن الصلاح وهذا أوسع من الأول يعني سواء أراد قائله

---

1) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة : 1967/4.

2) الزركشي، النكت : 170/1.

3) الطاهر الجزائري، توجيه النظر : 510/1.

مضيها مع موته أو من حين السماع منه...، أما الحافظ المزي فما اختاره أوسع وهو الأحسن أن من مات شيخ شيخه قبل أن يولد فسماعه من شيخه عال [1].

*** هل كل ما روي في الصحيحين عن مدلس بالعنعنة، وجد له طرق مصرح بها بالتحديث كالمستخرجات ؟**

سأل السبكيُ المزي هل وجد لكل ما رواه بالعنعنة طرق مصرح فيها بالتحديث ؟، فقال : كثير من ذلك لم يوجد وما يسعنا إلا تحسين الظن[2].

وبنى على ذلك السيوطي أننا لا نتوقف في صحة ما روى في الصحيح من ذلك غير مبين، ونقول لو لم يطلع مصنفه على أن المدلس سمع منه لم يخرجه [3].

أما ابن حجر فله رأي آخر، فقد دافع عن ما في الصحيحين من انقطاع بسبب التدليس والإرسال، بأنه مدفوع بشرط البخاري أي شرط الاتصال والصحة، ولكنه يستثني فيقول "ومع ذلك فحكم من ذكر من رجاله بتدليس أو إرسال أن تُسبر أحاديثهم الموجودة عنده بالعنعنة فإن وجد التصريح بالسماع فيها اندفع الاعتراض وإلا فلا "[4].

وقد سبق ابن حجر في هذا الرأي ابن دقيق العيد، فلم يفرق بين الصحيحين وغيرهما، فلا يثبت السماع عنده بمجرد حسن الظن [5].

*** هل كل حامل علم عدل حتى يتبين جرحه ؟ .**

هذا هو ما اشتهر عن ابن عبد البر، وكان مذهب أبي حنيفة ومالك قريب من ذلك، ولكن ابن الصلاح اعترض على ابن عبد البر وقال "هذا اتساع غير

---

1) انظر : السخاوي، فتح المغيث : 22/3.
2) انظر : السيوطي، تدريب الراوي : 116/1، الجزائري، توجيه النظر : 248/1.
3) انظر : السيوطي، م ن : 116/1.
4) ابن حجر، هدي الساري : 544.
5) انظر : الصنعاني، توضيح الأفكار : 355/1.

مُرضٍ"[1]، بينما كان رأي المزي موافقا لابن عبد البر ومخالفا لابن الصلاح، فقال : " ما قاله ابن عبد البر هو في زماننا مُرضٍ بل يتعين ".[2].

اكتفي بعرض بعض آراء المزي في مصطلح الحديث، وتستحق آراؤه أن تستقرأ وتصنف في كتاب مستقل، لأهمية اجتهاداته ودورها في عصره في صياغة بعض قواعد الحديث كما سنرى في الفقرة التالية :

ثانيا – أجوبة المزي على ما أشكل في عصره :

أ – أسئلة تقي الدين السبكي للحافظ المزي :

يذكر التاج السبكي في الطبقات أن أباه تقي الدين أرسل إلى الحافظ المزي في دمشق، وكان أبوه في مصر يسأله بعض أسئلة تتعلق بتصحيح ما وقع من تصحيف في بعض النسخ، فذكر سؤالين :

السؤال الأول : سأله عن حديث عند النسائي ورد مرة حدثني القيسي، وفي نسخة التيمي، ما حال هذا الإسناد ؟ . فيجيب الحافظ : " أما القيسي فلا يعرف اسمه، وقد أخرج حديثه هذا الإمام أحمد في مسنده هكذا

ولم يسمه.. وأما النسخة التي وقع فيها التيمي، فهي تصحيف [3].

السؤال الثاني : سأله عن حديث آخر ورد فيه محمد بن آدم، وفي نسخة محمود بن آدم، فما الصواب ؟

أجاب الحافظ : وأما محمد بن آدم فهو المصيصي، روى عنه أبو داود أيضا، وهو ثقة مشهور [4]، ومحمود بن آدم تصحيف [5].

أما **السؤال الثالث** فقد ذكره ابن القيم مستدلا بكلام شيخه المزي في تصحيح تصحيف ورد في متن حديث رواه الترمذي في السنن مرفوعا : " أربع

---

1) انظر : مقدمة ابن الصلاح : 105-106.
2) انظر : الزركشي، النكت : 303/3، والسخاوي، فتح المغيث : 300/1.
3) انظر : السبكي، طبقات الشافعية : 445/5-446.
4) وثقه النسائي، وقال أبو حاتم صدوق، توفي سنة 250هـ . انظر : تهذيب التهذيب : 30/9.
5) انظر : السبكي، م س : 446/5

من سنن المرسلين : السواك والطيب والحناء والنكاح " [1] ثم يقول ابن القيم : " وسمعت شيخنا أبا الحجاج المزي يقول هذا غلط من بعض الرواة وإنما هو الختان بالنون" [2].

ومن الأسئلة التي طرحها تقي الدين السبكي على الحافظ المزي ما يلي :

سأل السبكيُ المزيَ : من هو هلال بن رداد الذي روى عنه البخاري المذكور في آخر فترة الوحي، وما حاله ؟

أجاب المزي فقال : " أما هلال بن رداد هذا : فهو الطائي، ويقال : الكناني الشامي الكاتب، روى عنه الزهري، وروى عنه ابنه أبو القاسم محمد بن هلال بن رداد .... قال الذهلي : وكان هلال بن رداد الطائي أسوقهم للحديث باقتصاصه، ولم يذكره البخاري في تاريخه، ولا ابن أبي حاتم في كتابه، وإنما ذكر ابنه محمد بن هلال بن رداد الكناني، وقال فيه ابن أبي حاتم عن أبيه : مجهول [3].

وكلام المزي هنا مقتبس من كتابه تهذيب الكمال [4].

وسأل السبكيُ المزي عن سند حديث رواه النسائي في باب غسل الرجلين واليدين، أخبرنا محمد بن بشار حدثنا محمد، حدثنا شعبة، أخبرني أبو جعفر المدني، سمعت ابن عثمان بن حنيف.. **ما حال هذا الإسناد ؟**[5]

أجاب المزي : وأما أبو جعفر المدني المذكور في حديث النسائي، فهو : عمير بن يزيد الخطمي، وهو ثقة وثقه يحيى بن معين وغيره، وأخرج له أصحاب السنن الأربعة كلهم .

---

1) كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه : 390/3 . ورواه الإمام أحمد في المسند : 421/5.
2) ابن القيم، المنار المنيف : 131/1.
3) السبكي، م س : 445/5-446، وانظر : ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل : 116/8.
4) انظر : تهذيب الكمال : 333/30.
5) انظر : السبكي، طبقات الشافعية : 445/5-446.

وأما شيخه عمارة بن عثمان بن حنيف، فلم يخرج له سوى النسائي أخرج له هذا الحديث وحديثا آخر ...[1]

ب - أسئلة قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور الحلبي للحافظ المزي :

لقد كتب الحافظ قطب الدين أسئلة، وكان مقيما في مصر، بعثها للحافظ المزي ولي دار الحديث في دمشق يسأله عن بعض أسماء رواة ذكرهم مسلم في مقدمته، والنسائي في سننه قد اتفقت أسماؤهم وافترقت أشخاصهم، وعن مسائل أخرى سنذكر بعضا منها مع جواب الحافظ المزي باختصار [2] :

السؤال الأول : ورد في مقدمة مسلم عمرو بن خالد فمن هو، ففي الضعفاء رجلان كل منهما عمرو بن خالد ؟

أجاب المزي : " أما عمرو بن خالد الذي ذكره مسلم في مقدمة كتابه فهو الواسطي، لأنه المشهور دون الأعشى وقد ذكره مسلم في معرض ضرب المثل، وإنما يضرب المثل بالمشهور دون المغمور "[3]، وهذه نكتة جميلة وقاعدة نفيسة نص عليها الحافظ المزي .

السؤال الثاني : في قول النسائي في أول كتابه : تأويل قوله تعالى ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة ﴾ [المائدة : 6]، ثم ساق الحديث : " إذا استيقظ أحدكم من نومه " ما وجه مطابقة إيراده لهذا الحديث بعد هذه الترجمة ؟

أجاب المزي : أما المطابقة بين الترجمة والحديث، فإنه جرى على الغالب، لأن غالب النوم يكون بالليل، وغالب الاستيقاظ من نوم الليل يكون عند صلاة الصبح [4].

السؤال الثالث : إذا طلب من شخص أن يجيز لجماعة كتبوا في استدعاء وهو أحدهم، كيف يكتب، هل يطلق الإجازة على العادة، أم يقيدها بما يخرج نفسه منهم ؟

---

1) انظر ترجمته : تهذيب الكمال : 254/21.

2) وقد ذكر هذه الأسئلة مع أجوبة المزي التاجُ السبكي في طبقات الشافعية : 447/5-448.

3) السبكي، م س : 447/5.

4) السبكي، م ن : 448/5.

أجاب المزي : أما الكتابة في الإجازة، فإن كتب على العادة كفى، لأن العموم يجوز تخصيصه بالقرينة، وهي موجودة هنا، وإن قيد العبارة بحيث أخرج نفسه من المجاز لهم، فهو أولى، والله أعلم [1].

ثالثا – بعض أقوال المزي في التصحيح والتضعيف

لا شك أن للمزي باعا طويلا في تصحيح الأحاديث وتضعيفها وكان مرجع عصره في ذلك، فالأمثلة كثيرة تثبت ذلك وأكتفي بذكر بعضها :

– انتقاد المزي لابن الجوزي في الحكم على بعض الأحاديث بالوضع :

انتقد المزي ابن الجوزي في تصنيفه حديث " قراءة آية الكرسي عقب الصلاة : الذي رواه النسائي[2]، فقال الحافظ المزي " أساء ابن الجوزي بذكره في الموضوعات وله مثل هذا كثير "[3].

– انتقاد المزي لابن الصلاح بتصنيف حديث " إنما الأعمال بالنيات "[4] أنه حديث فرد !

ذكر ابن الصلاح في مقدمته هذا الحديث مثالا للحديث الفرد[5]، وقد انتقده الحافظ المزي فقال " في التمثيل نظر لأن له شاهدا وهو ما رواه عن رسول الله ﷺ ابن مسعود وأخرجه الطبراني بإسناد صحيح[6]، فخرج عن أن يكون شاذا بذلك"، وهنا جاء التفرد بمعنى الشذوذ بناء على تعريف الحاكم له[7].

---

1) السبكي، م ن : 448/5.

2) ونص الحديث : " من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت نوع آخر في دبر الصلوات "، سنن النسائي الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة : 30/6.

3) النكت : 282/2.

4) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي : 4/1، وأبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب فيما عني به الطلاق والنيات : 670/1.

5) انظر : مقدمة ابن الصلاح : 77.

6) بحثت عنه في المعاجم الثلاثة وفي التفسير ولم أعثر عليه، وإنما رواه في المعجم الأوسط عن ابن عمر وليس عن ابن مسعود كما ذكر المزي، انظر المعجم الأوسط : 71/1.

7) انظر : الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث : 183.

ولكن المزي انتقد ابن منده عندما ذكر طرق لهذا الحديث عن عدد من الصحابة رووه عن النبي ﷺ منهم : علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وابن عمر وأنس وابن عباس ومعاوية وأبو هريرة وعبادة بن الصامت ... وذكر أحاديثهم إلا أنه لم يذكر أسانيدها وأكثرها لا يصح، قال ابن كثير : " وما ذكره ابن منده غريب وقد عرضته على شيخنا الحافظ المزي فقال لا يكاد يصح من هذا شيء واستغرب ذلك جدا "[1].

- انتقاد المزي لزوائد ابن ماجه :

لقد حكم المزي على أغلب ما تفرد به ابن ماجه بالضعف، فقال : " إن الغالب فيما انفرد به ابن ماجه الضعف " مع العلم أن سبب تقديم الرواة له على الموطأ كثرة زوائده على الخمسة بخلاف الموطأ [2].

- المزي يدافع عن عبد الله بن لَهيعة [3]، ويقسم مروياته إلى مقبولة ومردودة، بحسب من روى عنه :

أشار ابن الصلاح إلى فئة وقع منهم التساهل في أداء وسماع الحديث، وضرب مثلا ما عرف عن ابن لهيعة، حيث تُرك الاحتجاجُ به مع جلالته لتساهله، فروى يحيى بن حسان أنه رأى قوما معهم جزء سمعوه من ابن لهيعة فنظر فيه فإذا ليس فيه حديث واحد من حديث ابن لهيعة، فجاء إلى ابن لهيعة فأخبره بذلك، فقال : " ما أصنع ؟ يجيئوني بكتاب فيقولون هذا من حديثك، فأحدثهم به "[4].

فهذه القصة لم يسلم بها المزي، ولا تقبل من إمام كابن لهيعة فيقول : " هذه الحكاية فيها نظر لأن ابن لهيعة من الأئمة الحفاظ لا يكاد يخفى عليه مثل هذا وإنما تكلم فيه من تكلم بسبب الرواة عنه فمنهم من هو عدل كابن المبارك

---

1) الزركشي، النكت : 2/141-142.

2 الصنعاني، توضيح الأفكار : 1/223-224.

3) هو عبد الله بن لهيعة المصري الفقيه، قاضي مصر، قال المزي : " روى له مسلم مقرونا بعمرو بن الحارث وأبو داود والترمذي وابن ماجه وروى البخاري في الفتن من صحيحه عن المقرئ عن حيوة وغيره.." تهذيب الكمال 15/487،وانظر : ابن حجر، تهذيب التهذيب : 5/327.

4) مقدمة ابن الصلاح : 209.

ونحوه، ومنهم من هو غير عدل، فإن كان الذي روى عنه عدلا فهو جيد، وإلا كان غير عدل فالبلاء ممن أخذه عنه "[1].

- **تحسين المزي حديثا حكم عليه العلماء بالضعف**

خالف المزي ما قد يدخل في ما قرره ابن الصلاح في النكت بأن التصحيح أو التحسين قد تعذر في عصره [2]، وذلك بمجرد اعتبار الأسانيد، وقد جاء المزي بعد ابن الصلاح وحسّن أحاديث حكم عليها الحفاظ من قبل بتضعيفها، ومثاله حديث : " طلب العلم فريضة " [3]. وذكر السيوطي في موضع آخر سبب تحسين المزي له أن له طرقا يرتقي بها إلى رتبة الحسن [4].

خاتمــة :

بدأ المزي طلب العلم متأخرا وقد تجاوز العشرين عاما، فعكف على دراسة أمهات الكتب وفنون اللغة وحفظ المتون، فاجتمعت نفحات حلب مع نفحات دمشق لتخرج للناس إماما اعترف له علماء عصره بفضيلته وعلو ذكره، وراجت مؤلفاته في حياته قبل مماته لأهميتها وإضافتها وضبطها وإتقانها، فكان بما يضعه بصيرا وبتحقيق ما يأتيه جديرا، لذلك أصبح مرجع عصره في ما يعترض طلاب العلم من مشكلات ومبهمات، ولم يجد قطب الدين

---

1) الزركشي، النكت : 600/3، وذكر ابن حجر في ترجمة ابن لهيعة أنه : " أخرج كتبه فأملى على الناس حتى كتبوا حديثه إملاء فمن ضبط كان حديثه حسنا إلا أنه كان يحضر من لا يحسن ولا يضبط ولا يصحح ثم لم يخرج بن لهيعة بعد ذلك كتابا ولم ير له كتاب وكان من أراد السماع منه استنسخ ممن كتب عنه وجاءه فقرأ عليه فمن وقع على نسخة صحيحة فحديثه صحيح ومن كتب من نسخة لم تضبط جاء فيه خلل كثير "، وأيضا وقع خلاف في احتراق جميع كتبه أو بعضها. انظر : تهذيب التهذيب : 329/5 . وقال ابن حجر في التقريب : " صدوق من السابعة خلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما .. وقد ناف على الثمانين " تقريب التهذيب : 319.

2) قال السيوطي : " وإذا تأملت كلام ابن الصلاح فرأيته سوى بينه _ أي التحسين _ وبين التصحيح، حيث قال فآل الأمر إذا في معرفة الصحيح والحسن إلى الاعتماد على ما نص عليه أئمة الحديث في تصانيفهم المعتمدة المشهورة...". تدريب الراوي : 149/1، وانظر : مقدمة ابن الصلاح : 17.

3) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب العلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم : 81/1.

4) انظر : السيوطي، تدريب الراوي : 174/2.

الحلبي أفضل من المزي ليجيبه على أسئلته، فأرسل له كتابا من مصر يطلب به الجواب من شيخه المزي.

إن شخصية المزي العلمية لم تكن تقليدية أو تبعية، فكانت شخصية مستقلة تهوى الحق حيث تجلى له، فلقد هجر صاحبه التلمساني عندما عرف ضلاله وانحرافه، ولم يجد حرجا في تأييد رفيقه ابن تيمية عندما رآه على الحق [1]، رغم أن دمشق كانت تعيش بأكملها تحت جناح الصوفية، بل يُذكر في ترجمته أن سجن مرة لانتصاره لابن تيمية عندما ناظر الشافعية، فذكر تلميذه وصهره ابن كثير القصة : " أن الشيخ جمال الدين المزي الحافظ قرأ فصلا بالرد على الجهمية من كتاب أفعال العباد للبخاري ... فغضب بعض الفقهاء الحاضرين وشكاه إلى القاضي الشافعي ابن صصرى وكان عدو الشيخ فسجن المزي فبلغ الشيخ تقي الدين فتألم لذلك وذهب إلى السجن فأخرجه منه بنفسه .." [2].

إن وقع هذه الشخصية كان له دور مميز في إضافات علمية لم تقف عند مؤلفاته التي وصفت بأن ليس لها نظير في الدنيا – في عصره –، بل أيضا باجتهاداته وآرائه التي ذكرنا منها القليل، والقصد إبراز شخصيته العلمية التي تجلت بغزارة العلم والإحاطة بعلوم الشريعة، وقدرته على النقد وتتبع من سبقه في بعض آرائه كابن الصلاح . إن عالما بهذه الدرجة والرفعة، لا تفي بحقه هذه الصفحات، فهو جدير أن تقوم عدة دراسات حول منهجه في مؤلفاته، واستقراء آرائه [3].

---

1) انظر : ابن حجر، الدرر الكامنة : 234/5.

2) ابن كثير، البداية والنهاية : 37/14.

3) وقد ساهم بذلك عدة باحثين، فمن ذلك الدكتور بشار عواد معروف في تحقيقه لتهذيب الكمال، فقد ذكر بعض الفوائد في مقدمة الكتاب، ومن ذلك المحقق شرف الدين في تحقيقه تحفة الأشراف، وقد حصلت من خلال بحثي على الانترنت أن هناك رسالة بعنوان : " الإمام المزي ومنهجه في تحفة الأشراف " للدكتور محمد عبد الرحمن الطوالبة.

المصادر والمراجع :

- ابن أبي حاتم الرازي (عبد الرحمن)، **الجرح والتعديل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1952م.
- ابن حجر (أحمد بن حجر العسقلاني) : **تقريب التهذيب**، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1986م، ت : محمد عوامة.
- ابن حجر : **تهذيب التهذيب**، دار الفكر، بيروت،ط1، 1984 م.
- ابن حجر : **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار الكتب الحديثية، مصر، بدون رقم طبعة وتاريخ، ت : محمد سيد جاد الحق.
- ابن حجر، **هدي الساري مقدمة فتح الباري**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1989م.
- ابن الصلاح (أبو عمرو عثمان)، **علوم الحديث/ المقدمة**، دار الفكر، دمشق، ط3، 1984م، تحقيق : نور الدين عتر.
- ابن قاضي شهبة (أبو بكر بن أحمد)، **طبقات الشافعية**، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان.
- ابن القيم (محمد بن أبي بكر)، **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1970م، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة.
- ابن كثير (إسماعيل بن عمر) : **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت.
- ابن منظور(محمد بن مكرم)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط1، د ت.
- الأبناسي (إبراهيم بن موسى)، **الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح**، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1998م، تحقيق : صلاح فتحي هلل .
- أبو الطيب الفاسي (محمد بن أحمد)، **ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ، تحقيق : : كمال يوسف الحوت.
- أبو داود (سليمان بن الأشعث)، **سنن أبي داود**، دار الفكر د د، د ط، د ت، تحقيق : محمد محي الدين.
- أحمد بن حنبل، **المسند**، مؤسسة قرطبة، مصر، د ط، دت.
- البخاري (محمد بن إسماعيل)، **الجامع الصحيح المختصر**، دار ابن كثير, اليمامة، بيروت، ط3، 1987، تحقيق : مصطفى البغا.

- الترمذي (محمد بن عيسى)، **جامع الترمذي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.
- الجزائري (طاهر بن صالح)، **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1995 م، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة.
- الحاكم النيسابوري (محمد بن عبد الله)، **معرفة علوم الحديث**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1977م، تحقيق السيد معظم حسين.
- الذهبي (محمد بن الطاهر)، **تذكرة الحفاظ**، دار الصميعي، الرياض، ط1، 1415 هـ، تحقيق : حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي.
- الزركشي (محمد بن جمال الدين)، **النكت على مقدمة ابن الصلاح**، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1998م، تحقيق : د. زين العابدين بن محمد بلا فريج.
- الزركلي (خير الدين)، **سير الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط12، 1997.
- الزيلعي (عبدالله بن يوسف)، **نصب الراية لأحاديث الهداية**، دار الحديث، مصر، د ط، 1357هـ، تحقيق : محمد يوسف البنوري.
- السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي) : **طبقات الشافعية الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط7، د ت، تحقيق مصطفى عبد القادر أحمد عطا.
- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)، **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1403هـ.
- السيوطي (جلال الدين)، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1979م.
- الصنعاني (محمد بن إسماعيل)، **توضيح الأفكار لمعاني الأنظار**، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د ط، د ت، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
- الطبراني (سليمان بن أحمد)، **المعجم الأوسط**، دار الحرمين، القاهرة، د ط، 1415 هـ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ,عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.
- الطحان (محمود)، **أصول التخريج ودراسة الأسانيد**، مكتبة المعارف، الرياض، ط2،1991هـ.
- **العراقي** (عبد الرحمن بن الحسين)، **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.
- الفيومي (أحمد بن محمد بن علي المقري) : **المصباح المنير**، المكتبة العلمية، بيروت، د د، دت.

- البغدادي (إسماعيل باشا)، هدية العارفين إلى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مكتبة المثنى، بغداد، د د، دت.
- المزي (أبو الحجاج يوسف بن الزكي)، **تهذيب الكمال**، مؤسسة الرسالة، ط6، 1994م، تحقيق : بشار عواد معروف .
- المزي، **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**، ومعه **النكت الظراف على الأطراف لابن حجر العسقلاني** صححه وعلق عليه عبد الصمد شرف الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.
- مسلم (ابن الحجاج القشيري)، **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي.
- النسائي (أحمد بن شعيب)، **المجتبى من السنن**، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1986م، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة.
- النسائي، **السنن الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري , سيد كسروي حسن.